ابن حمديس الصقلي

دراسة موضوعية فنية

بحث مقدم من المدرس المساعد
زياد طارق لفتة العبيدي

جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

1427هـ 2006م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لا شك ان القارئ للادب الأندلسي يجده ادبا عريقا بإيحاءاته وصوره التي رسمها على الخصوص شعراؤه الافذاذ ، الذين سجلوا لنا تاريخ حقبة طويلة عاشتها الاندلس الاسلامية بافراحها واحزانها.

ومن بين هؤلاء الشعراء ابن حمديس الصقلي ، الذي عرف بدوره ومكانته في التجديد في الشعر الاندلسي ، فضلا عن براعته في تصوير اغترابه وشكواه من الزمن الذي جعل بلاده تقع تحت يد النورمانديين الذين ساموا اهل صقلية الذل والهوان وفر منها ابن حمديس وكابد كثيرا ، وقد استطاع ان يصور كل ذلك باسلوب يقطر حزنا وأسى ، ثم ظهر مبدعا ومجددا في وصف الطبيعة .

وجاء هذا البحث ليظهر لنا براعة الشاعر في الوصف الدقيق ، فضلا عن قدرته الفائقة في التصوير ، وقد قسمته على الشكل الآتي :-

التمهيد : الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر.

- المبحث الاول : البيئة والشاعر.
- المبحث الثاني : اغراض شعره.
- المبحث الثالث : مميزات شعره.
- الخاتمة : وتتضمن النتائج المهمة التي توصلت اليها في بحثي.
- المصادر والمراجع.

ومن الله التوفيق.

التمهيد

الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر :-

لم يكن فتح العرب المسلمين للاندلس مجرد رغبة طارئة اوجدها فتح شمال افريقية. وانما كان نتيجة اسباب متعددة ومتنوعة في آثارها وأهميتها تعاونت لتجعل العرب يعبرون بحر الظلمات كما كانوا يسمونه ،لعل اهمها :

1. حب العرب المسلمين ((لنشر كلمة الله والقضاء على المظالم التي ترزح تحتها الامم التي قضى عليها جور الحكام وعسفهم))[1].
2. في الوقت الذي اخذت اسبانيا تجذب انظار العرب المسلمين الا انها كانت ايضا تمر بأسوأ الاحوال السياسية والاجتماعية وهذا ما ساعدهم على فتحها فقد ((كتب يليان الى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك في المغرب يزيّن له فتح الاندلس ويصف خصيب اراضيها ووفرة اموالها وسهولة التغلب عليها لتخاذل اهلها وانقسام بعضهم عن بعض ووعده بالمساعدة فاستاذن موسى بن نصير الخليفة بغزو الاندلس فأذن له))[2].
3. ان انتصارات المسلمين في فتوحات شمال افريقية الواحدة تلو الاخرى جعلتهم يدركون أن هذه البلدان ستكون حصنا للمسلمين تحمي ظهورهم. فاخذت فكرة عبور بحر الظلمات تراود عقبة بن نافع الفهري الذي اختط مدينة القيروان سنة 50هـ اذ كان عامل معاوية في المغرب وهو الذي قال : يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك. ونضجت هذه الفكرة بعد نجاح الاسلام في استمالة قلوب البربر واستتب الامر للمسلمين[3]. على كل حال عبر العرب بحر الظلمات من مضيق جبل طارق عام 92هـ الى جزيرة الفندال التي كانت العرب تسميها الجزيرة الخضراء[4]. ولم يكن الجيش الفاتح من العرب فقط وانما كانوا من العرب والبربر ((فاما العرب فكانوا يفضلون دائما البساط والمنخفضات والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وناحية سرقسطة واما البربر فكانوا في بلادهم يعيشون في بلاد جبلية عالية فألفوا مثل هذه البلاد في الاندلس فاستقروا فيها باختيارهم))[5].

وتم التمازج عن طريق التزاوج بالاضافة الى عوامل دينية وثقافية. وصقلية مسقط رأس الشاعر وملاعب صباه، بدأ المسلمون بفتحها سنة 211هـ على يد أسد بن فرات أيام زيادة الله بن الاغلب والي افريقية واستمرت اعمال الفتح مدة غير قصيرة ولم تخضع كل صقلية خضوعا تاما لحاكم عربي واحد الا ايام بني ابي الحسين الكلبين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة... ثم هبت ريح الفتنة على صقلية وتجدد فيها صراع الجنسيات المختلفة من افريقية وصقلية ايام الاكحل من بني ابي الحسين واخيه حسن الصمصام... وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمنة وهو الذي استدعى النورمانيين من ايطاليا ليسلمهم الجزيرة على اثر ما قام بينه وبين ابن الحواس من حروب ولم يجد النورمانيون فتح الجزيرة سهلا ولم يتم لهم الامر عليها عام 484هـ[6].

وفي ((سنة 471هـ (1078-1079م)) كان النورمنديون قد استولوا على معظم جزيرة صقلية))[7].

وخلال ابتداء الفتح النورماني وانتهائه كان الصقليون يهجرون بلدهم الى مصر والقيروان والاندلس. وكانت سرقوسة (مسقط رأس الشاعر) من المدن التي قاومت طويلا وافتخر بها الشاعر بعد

---

1. الادب العربي وتاريخه . محمود مصطفى 5/3.
2. في الادب الاندلسي . د. جودة الركابي ص11 .
3. ينظر الادب العربي وتاريخه 3/5-6 .
4. ينظر في الادب الاندلسي ص11.
5. فجر الاندلس . د.حسين مؤنس . ص54.
6. ينظر مقدمة ديوان ابن حمديس بقلم الدكتور احسان عباس ص1-2.
7. تاريخ الادب العربي . عمر فروخ . 5/201.

ان هاجر منها وتشفع لاهلها كثيرا كما سنرى في الفصول القادمة وقد شهدت صقلية ايام الحكم العربي والنورماني نشاطا واسعا في الاداب والعلوم... وكان ديوان ابن حمديس من جملة ما وصل الينا [1].
وصارت لفظة (اندلس) في الادب تشير الى نتاج اجيال ولدت في الاندلس ومن هاجر اليها. وقد اوضح مدلول هذه اللفظة بهذا المعنى ابن حزم الاندلسي بقوله : ((ان جميع المؤرخين من ائمتنا السالفين والباقين دون محاشاة احد – بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقين على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها الى ان مات فمن هاجر الينا من سائر البلدان فنحن احق به وهو منا بحكم جميع اولي الامر الذين اجماعهم فرض اتباعه. وخلافة محرم اقترافه... ومن هاجر الى غيرنا فلاحظ لنا فيه والمكان الذي اختاره اسعد به))[2].

ومن هنا نفهم اهتمام الدارسين باندلسية ابن حمديس في شعره رغم اشتهار صقليته فهو شاعر اندلسي من حيث الخصائص وولعه بالطبيعة ووصفه لمجالس الانس فيها.

وقد فصّل الدكتور مصطفى الشكعة القول في تركيبة المجتمع الاندلسي الذي ضم أجناسا من البشر ذوي عقائد عديدة وعادات مختلفة من عرب وبربر وصقالبة ويهود واسبان والعرب منهم النزاريون والقحطانيون. واشار الى ان هذه المدة لم تكن مدة استقرار ورغد نتيجة الحروب والمشاحنات[3].

ولكن العرب المسلمين استطاعوا تكوين دولة قوية بلغت اوجها زمن عبد الرحمن الناصر والذي كان اول من طمح بالخلافة من امراء فلقب بامير المؤمنين وازدهرت في ايامه الاندلس ايما ازدهار [4]
وتطرق الدكتور احسان عباس الى العوامل التي ساعدت على تكوين الشعر الاندلسي نوجزها بجهود طبقة المؤدبين وأثرها في نشأة الشعر والمقاييس النقدية ، وجهود المهاجرين في طلاب الحاجات وتشجيع الحكام وادخالهم ضروبا من الثقافة المشرقية وحركة الغناء في الاندلس واعتمادها على التلاحين الشرقية، وتقريب الحكام لاصحاب الثقافات والفنون المقيمين والوافدين وهجرة الكثير من الكتب المشرقية الى الاندلس ايام الحكم الذي وجه الى المشرق عباس بن ناصح الجزري في التماس الكتب القديمة بالاضافة الى كون الحكام والامراء انفسهم شعراء ومنهم المقل ومنهم المكثر حتى صار الشعر من العناصر التي تقدم المرء في الحياة السياسية وترقى به الى المناصب الرفيعة[5].

لقد كان هم الشعر في الاندلس ان يحاكي ويقلد شعر المشارقة لانهم اعتقدوا ان الشعر في المشرق قد بلغ درجة الكمال والمعجزة التي لا يمكن الإتيان بمثلها. فلذا قال ابن بسام في مقدمة الذخيرة ((الا ان اهل الاندلس ابوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الافاق غراب أوطن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا ضما وتلوا ذلك كتابا محكما[6])).

ومن اللافت للنظر في تاريخ المسلمين هي الأحداث الخطيرة التي حدثت اوائل القرن الخامس الهجري والتي كان من نتائجها الخلال الخلافة في قرطبة وابتداء عهد ملوك الطوائف ، ويستغرب الدكتور صلاح خالص من الانهيار السريع لتلك الدولة القوية التي بناها عبد الرحمن الناصر واسندها الى جب المنصور وابنه الحاجب المظفر ولما يمض على وفاة الاخير غير عامين ويستنتج الدكتور صلاح ان هذا الانهيار لا يعود لاسباب خارجية لان الدولة الاسلامية لم تقع فريسة عدوها الخارجي وانما تكمن وراء ذلك اسباب داخلية وليدة اعوام كثيرة عبر مساحة زمنية واسعة فظهرت دول الطوائف ومنها اتفق وجهاء اشبيلية على استقلال مدينتهم فسدوا ابوابها اما المتنافسين على عرش الخلافة في قرطبة وابتداء تمرد اشبيلية عام 414هـ حين رفض الاشبيليون فتح ابواب مدينتهم امام القاسم بن حمود الذي اضطر الى ترك قرطبة.

1. ينظر مقدمة ديوان ابن حمديس . ص20 .
2. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . المقري . 164/3.
3. ينظر الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه ص21.
4. امراء الشعر العربي في العصر العباسي . انيس المقدسي ، ص9.
5. ينظر تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، ص/48 ، 53 ، 57 ، 62 ، 90 .
6. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابن بسام ، ق1 م12/1.

وكانت الارستقراطية الاندلسية في القرن الخامس مثقفة تعنى بالعلوم والادب وكان بنو عباد من بين جميع الاسر الارسقراطية اوسعهم ثقافة واكثرهم ميلا للأدب وعناية بالعلم ورعاية للاداب واهلها، فمعظم ملوك بني عباد وامرائهم كانوا من الشعراء والادباء. فالمعتمد دون شك شاعر من ابرز شعراء الاندلس في ذلك القرن[1]

وكان ابن حمديس يحلم بلقاء المعتمد صاحب اشبيلية وتحقق له ذلك ، وظل زمنا يتقلب في نعماء القصر ورعاية المعتمد ، وكان المعتمد من الاسباب المهمة في شهرة ابن حمديس شاعرا اندلسيا.

فلذا ظل وفيا له حتى انه زاره في سجنه وفي رواية اخرى اقام معه كما ستكشف المباحث الاتية... وصار ابن حمديس ضمن طائفة الشعراء الذين يمثلون البيئة والمجتمع وتجتمع لهم الحداثة والجدة.

المبحث الأول

البيئة والشاعر

لا يختلف اثنان على ان البيئة الاجتماعية والسياسية والجغرافية والاقتصادية تؤثر تأثيرا كبيرا في نفسية الشاعر واكتشافه وصقل مواهبه وتطويرها او تعويضها لذلك شاع القول : ((الشاعر ابن البيئة)) لذا اصبح من الضروري الاطلاع على العوامل الرئيسة التي اثرت في الشاعر : ((ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر بن حمديس الازدي الصقلي الشاعر المشهور. وحمديس بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة. وصقلية بفتح الصاد المهملة والقاف بعدها جزيرة في بحر المغرب بالقرب من افريقية انتزعها الفرنج من المسلمين في سنة اربع وستين واربعمائة))[2] بعد ان حكم العرب هذه الجزيرة بين عامي (219 – 464)[3] والى هذه الجزيرة ينتسب الشاعر ويسمى ((بالصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف وبعدها لام مشددة))[4].

وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمنة وهو الذي استدعى النورمانيين (او النورمانديين) كما يذكر الدكتور جودة من ايطاليا ليسلمهم الجزيرة على اثر ما قام بينه وبين ابن الجواس من حروب وصقلية كلها لم تخضع لحاكم عربي واحد الا في ايام بني ابي الحسين الكلبيين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة. ومنذ ان ابتدأ الفتح النورماني الى ان انتهى كان الصقليون يهاجرون من بلدهم الى مصر والقيروان والاندلس. وكانت سرقوسة البلد الذي ولد فيه الشاعر قد قاومت طويلا ... وقد فارقها الشاعر في ريعان شبابه [5] وربما كان ذلك سنة ((احدى وسبعين واربعمائة وهو في سن الحداثة))[6] كما ذكر الدكتور احسان عباس عباس هذا التاريخ قبل قصيدة للشاعر استخرجها من كتابي ((الخريدة)) و ((الطراز)).

((وقد اختزنت ذاكرته ضروبا من الذكريات التي ظلت زادا لنفسه الحالمة بالعودة))[7] فهو يقول:

احن الى ارضي التي في ترابها   مفاصل من اهلي تلين واعظــم
كما حن قيد الدجى بمضلــــــه   الى وطن عود من الشوق يروم[8]

ويقول ايضا :

صقلية كاد الزمان بلادها   وكانت على اهل الزمان محارسا
ومنزله للتصابي قد خلت   وكانوا بنوا الظرف عمارهـــــا[9]

(اشار الدكتور احسان عباس انه رأى البيت الاخير في الوافي (للصبا قد خلت))

1. ينظر محمد بن عمار الاندلسي ، ص8-9 ، 14-16 .
2. وفيات الاعيان – ابن خلكان ، 421/3 ، 414 .
3. ينظر في الادب الاندلسي ، ص100.
4. وفيات الاعيان ، 214/3.
5. ديوان ابن حمديس ، ص 1 ، 5.
6. المصدر نفسه ، ص167 .
7. المصدر نفسه ، ص5.
8. المصدر نفسه ، ص416.
9. المصدر نفسه ، ص275.

وكذلك يقول :

ولولا ملوحة ماء البكـــــــاء		حست دموعي انهارها
ضحكت ابن عشرين من صبوة		بكت ابن ستين اوزارها[1]

وسأتحدث عن هذا الحنين والشوق الى العودة وعن ذكرياته عن بلده واهله على نحو مفصّل في اغراض شعره ((وقد امتازت صقلية بطبيعتها الفنية ووديانها الخصبة وانهارها الجارية واثارت في نفوس سكانها منذ القدم التغني بحياتها الريفية))[2] ((وقد شهدت صقلية ايام الحكم العربي والنورماني نشاطا واسعا في الأدب والعلوم واجتذبت اليها مهاجرين من علماء افريقيا ومصر والاندلس وشعرائها))[3].

و((نحن لا نملك صورة واضحة عن الحال العلمية والادبية لسرقوسة ولكننا نتصور ان عبد الجبار وجد فيها من غير ريب ثقافته الادبية الأولى التي مكنته من قول الشعر في صباه))[4].

((فقد عالج ابن حمديس نظم الشعر وهو صغير ولكنه بقى خامل الذكر)) [5] وقد نشأ ابن حمديس في عائلة و((عاش والده ابو بكر الى ما قبل 480 للهجرة على وجه التقدير وربما توفي في سرقوسة وكان فيما يبدو رجلا تقيا محبا للخير ((ومضى حين مضى سالكا سبل ابائه)) [6] ان لعائلته تاريخا في البر والخير فضلا عن امتيازها بالروح الدينية وهذا ما يؤكده الشاعر في قصيدة يرثي فيها اباه حين ورد عليه كتاب والده في صقلية يحثه على البر ويتشوقه وهي قصيدة طويلة تشغل ثلاث صفحات من ديوانه يفتتحها بـ:

يد الدهر جارحه آسيـــــــــه		ودنياك مفنية فانيـــــه
سقى الله قبرابي رحمــــــــه		فسقياه رائحة غاديـــه
ومن كرم في العلــــــــى اول		وشمس النهار له ثانيـه
ولو ان اخلاقه للزمــــــــان		لكانت موارده صافيـــه
تمثلت في خلدي شخصــــــه		وقربت تربته القاصيـــه
قديم تراث العلى أســـــــــد		على النجم خطته ساميـه
ومنها مضى بالرجاحة من حـــلـ		مـه فما سرالهضبةالراسيه
مضى سالكا سبل آبائـــــــه		واجداده الغرر الماضيـه
كرام تولوا بريب المنـــــــون		وانقوا مفاخرهم باقيـــه[7]

واذا عرفنا ان عمة الشاعر اجرت مع ابنائها الى سفاقس وكان ابنها الحسن متط ببأً مثقفا اذ يقول فيه ابن حمديس ((بقراط دونه معرفة طيبة وفكره حسيبه)) وقد تزوج اخت الشاعر ونشآت علاقة حميمة بينهما[8] لفسرنا ظهور الشعر الذي يتناول الصحة والهواء والمرض وطبائع الاشياء متاثرا بتلك الثقافة والعلاقة قال ابن حمديس في المتطبب الحسن

وكان في درس العلوم وحفظها		بين الافاضل مبدأ الاعداد
ملاحمته عناصر المجد التـــــي		طابت من الاباء والاجـداد
ونجابه وقف عليهم فضلهـــــا		منقولة منهم الـــى الاولاد[9]

وهي قصيدة طويلة تجعل القارئ للديوان من خلالها وخلال قصيدة رثاء ابيه يؤيد ما ذهب اليه الدكتور احسان عباس في قوله ((فهو من عائلة محافظة فيها وتر قوي من التدين ووتر آخر من

---

10. المصدر نفسه ، ص183.
1. في الادب الاندلسي ، ص100.
2. ديوان ابن حمديس ، ص2.
3. المصدر نفسه ، ص3.
4. في الادب الاندلسي ، ص100.
5. ديوان ابن حمديس ، ص3.
6. المصدر نفسه ص522 – 524.
7. المصدر نفسه ، ص3.
8. المصدر نفسه ، ص122.

الثقافة الدينية والحكيمة ... وان روح المحافظة غلب عليه كما غلب عليه من الثقافة الحكمية الطبية جعلته يتحدث عن الصحة والمرض وطبيعة الهواء والغذاء ...))[1]

((لقد فرّ ابن حمديس الى الاندلس ونزل باشبيلية وظل فترة يحلم بلقاء المعتمد بن عباد))[2] ومعظم ومعظم المصادر تهتم بوصوله الاندلس لان الاهتمام باندلسية ابن حمديس كان شغلهم الشاغل.

يقول الدكتور جودة الركابي ((وبعد ان حلت النكبة بوطنه رحل الى الاندلس سنة 471هـ ولاذ بكنف المعتمد بن عباد باشبيلية واصبح شاعره))[3]

الا ان الدكتور احسان عباس فصّل القول في رحلة ابن حمديس فذكر مرحلة وجوده في افريقية يصحب العرب ويتنقل في الصحراء وكانت افريقية طريقا الى الاندلس. وقد فضل ابن حمديس السفر البري على البحري الذي اصبح محفوفا بالخطر بعد ان استولت الاساطيل الرومية على السيادة البحرية غرب البحر المتوسط[4] وقد قال الشاعر قصائد تؤرخ ذلك وتكشف عن اعتزازه بالغرب وتعبر عن غربته غربته في تلك البلاد ، ومنها قوله

إني لأبسط للقبول اذا سرت	خدي والقاها بتقبيل اليـــــد
مالي اطيل عن الديار تغربـا	افبالتغرب كان طالع مولـدي
ابدأ ابدد بالنوى غرمي الـى	أمل بأطراف البلاد مبـــــدد
كم من فلاة جبتها بنجيبـــه	عن منسم دام وخطم مزيـــد[5]

اصبح المنسم داميا لكثرة المشي وكذلك اشتد بياض اللعاب الخارج من فمها نتيجة التعب.

بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الاموية في الاندلس وبدأ رؤساء الطوائف يستقلون بالامارات التي يحكمونها فعرفوا بملوك الطوائف واصبحت المدن المهمة في الاندلس عواصم لهذه الدويلات ومن اهم هذه الدويلات التي لها صلة بالبحث والشاعر الدولة العبادية في اشبيلية 414-484[6].

((ولم يكن التنافس بين هؤلاء الملوك سياسيا فقط بل كان عمرانيا وادبيا ، فقد رعوا حركة الادب وقربوا اصحابها وكانت اكثر عواصمهم أسواقا لها. وكان منهم ادباء وشعراء كالمظفر وابنه المتوكل والمعتمد بن عباد ملك اشبيلية))[7]

وقد وردت روايتان في اتصال الشاعر بالمعتمد الاولى تقول ان المعتمد لم يعبأ به حتى قال ابن حمديس ((قنطت لخيبتي مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي ، فاني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي اذا بغلام معه شمعة ومركوب فقال لي : اجب السلطان فركبت من فوري ودخلت عليه فاجلسني على مقربه منه وقال لي : افتح الطاق التي تليك ، ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحها تارة ويسدها اخرى. ثم دام سد احدهما وفتح الاخر فحين تأملتها قال لي اجز (الاجازة في الشعر ان يقول واحد صدر بيت ويطلب من الاخر اكماله على نفس الوزن مع استقامة المعنى)

قال : انظرهما في الظلام قد نحما	فقلت ((كما رنا في الدجنة الاسد))
قال : يفتح عينيه ثم يطبقها	فقلت ((فعل امرئ في جفونه رمد))
قال : فابتزه الدهر نور واحدة	فقلت ((وهل نجا من صروفه احد))

فاستحسن ذلك وامر لي بجائزة سنيه والزمني خدمته[8]

((والرواية الثانية تفيد ان المعتمد توجه إلى قرطبة وكتب الى الشاعر يأمره بالقدوم اليه فسافر ابن حمديس الى قرطبة ووافق ذلك مجيء ابي بكر بن عمار اسيرا مقيدا فلم يطق ابن حمديس البقاء في

---

9. المصدر نفسه ، ص3.
10. دائرة المعرفة الاسلامية : نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وجماعة ، 145/1.
1. في الادب الأندلسي ، ص100.
2. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص5.
3. المصدر نفسه ، ص10. فلاه : المفازة : الصحراء ، نجيبه : الفاضلة من الابل وهي عتاقها التي يساق عليها ، منسم : طرف خف البعير خطم : مقدم انفها وفمها ، مزبد : يخرج من فمها الزبد. ينظر (المنجد في اللغة مادة فلو ، نجب ، نسم ، خطم ، زبد)
4. ينظر في الادب الاندلسي ، ص15
5. المصدر نفسه ، ص26.
6. ديوان ابن حمديس ص 543 وينظر تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الزيات ص235.

قرطبة وعاد من توه الى اشبيلية. والشك ما زال يخالج نفسه حول رغبة المعتمد في اقامته فكتب اليه قصيدة يقول فيها : ((فوقع ممسكا او مسرحا)) فوقع له المعتمد : بل تمسك بمعروف ووصله بمائة دينار))[1]. وقد استخرج احسان عباس هذه الرواية من كتاب الذخيرة حين خرج قصيدة للشاعر تبدأ :

ايا مولي الصنع الجميل اذ انشى ويا مسدي النيل الجميل اذا صحا

يقول :

رفعت واصحابي الى ما يحدّه علاك فوقع ممسكا او مسرحا[2]

((ان المعتمد يشكل صفحات من المجد والترف والبطولة والاباء والشعر ولقد ورثت ابنته بثينة روحه الشاعرة فهو شاعر الملوك وملك الشعراء وورثت الشعر ايضا والجمال من امها الرميكية)) [3] وظل الشاعر يتقلب في نعم الملك حقبه من الدهر ولما ((استولى ابن تاشفين على اشبيلية ونفي ابن عباد الى قلعة اغمات بمراكش لحق ابن حمديس سيده الى منفاه وبقي وفيا له ينظم الشعر الحزين)) [4] بينما تذكر دائرة المعارف الاسلامية ((ولما سجن المعتمد يتبعه الى سجنه عام 484 (1091م))[5] ويرى الدكتور احمد امين ((انه كان مع ابن عباد في سجنه))[6] واقامته في الاندلس لها الاثر الكبير في شعره لما امتازت به الاندلس من جمال الطبيعة بل كان للرجل الاندلسي صفات اشار اليها الكثير من المؤلفين العرب فابن غالب في رسالته فرح الانفس التي يذكرها المقري يصف لنا الاندلسي رجلا مهتما بلباسه وهندامه وطعامه محبا للشعر والغناء والموسيقى ، ونجده الى جانب هذه الحياة اللاهية حسن التدبير محبا للعلوم والفلسفة والعدالة. ان الذي لا شك فيه ان الاندلس قد تتمتع بصفات تتخذ من باخوس Bacchus آله الخمر واللهو كما تتخذ من ابولون Apollon آله الفن والشعر ولهذا فليس عجيبا ان نراه محبا للفن شاعرا ولاهيا عابثا ثم بعد هذا منصرفا الى التفقّه في العلوم والتشريع والدين والفلسفة بتأثير الدافع الاسلامي وحب التأمل وفهم اسرار الحياة.

وقد عد ابن غالب من فضائل الاندلسيين اختراعهم للموشحات التي استحسنها اهل المشرق[7] . ولا ولا شك ان كل العوامل التي ذكرت قد اثرت في شعر ابن حمديس وهو ما يتوضح لدى دراسة شعره.

((وبعد موت الملك العبادي انتقل ابن حمديس الى المهدية قاعدة افريقية ثم انتقل الى جزيرة ميورقة حيث مات عام 1132م / 527هـ))[8] ويذكر ابن خلكان وفاة الشاعر ومكان دفنه بعد ان يشير الى عماه اذ بلغ الثمانين من العمر وبيده عصاه. فيقول ((توفي في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة بجزيرة ميورقة ودفن الى جنب قبر ابن اللبانة الشاعر المشهور وكان قد عمي وقيل ببجايه))[9].

وفي ديوانه اشار الى عمره وعماه اذ يقول :

كأنها وهي كفي إذ اهش بها على الثمانين عاما لا على غنمي[10]

ان التنقل المستمر ومعايشة النكبات التي حلت بوطنه جعلت الشاعر يقول كثيرا من الشعر الذي يصف فيه غربته وحنينه الى بلده ويغلب عليه طابع الحزن والتشاؤم.

وقد ترك ابن حمديس ديوان شعر ((صبغه لنفسه كما يذكر ابن ظافر الازدي وكان موجودا في ايدي الناس ويبدو انه عند جمع ديوانه ذكر مناسبات القصائد بدقة وأملاه على احد الرواة))[11].

---

7. المصدر نفسه ، ص6.
1. المصدر نفسه ، ص110 – 111.
2. الادب الاندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص17.
3. في الادب الاندلسي ، ص100.
4. دائرة المعارف الاسلامية ، 145/1.
5. ظهر الاسلام د. احمد امين ، 183/3.
6. ينظر في الادب الاندلسي ، ص44.
7. تاريخ الادب العربي حنا الفاخوري ، ص841.
8. وفيات الاعيان ، 215/3.
9. ديوان ابن حمديس ، ص482.
10. المصدر نفسه ، ص22.

((وقد قام ((اقاري)) بنشر ديوان شعره الذي يمثل حياته في صقلية وحينما كان في بلاط ابن عباد في اشبيلية))[1].
وقد ((طبعه بالرم سنة 1883م وفي روما سنة 1897م وفي بيروت سنة 1960م))[2]

المبحث الثاني
اغراض شعره

يقصد بالغرض الفن الذي يتناوله الشاعر واذا عرفنا ((ان الادب الناجح هو الذي يكون صدى للبيئة وتصويرا لجوانبها العديدة من ثقافية واجتماعية وجغرافية وسلوكية))[3] وبالتالي سيصبح معبرا عن تجارب الشاعر ومعاناته واحلامه وطموحه التي تتأثر حتما بعوامل البيئة المتنوعة ومن اكبر الاغراض الشعرية التي عالجها ابن حمديس وجدير بالابتداء به قبل غيره هو :-

1. قوة الحنين والتفجع على ضياع الوطن : لقد انشغل ابن حمديس بوطنه ارضا واهلا ورمزا ، يذكره بوطنه المنكوب فحين رأى زهرة النيلوفر المشهورة في صقلية هتف قائلا :

هو ابن بلادي كاغترابي اغترابه　　　كلانا عن الاوطان ازعجه الدهر[4] ،

فهو لم يغادر البلاد راغبا في الاغتراب وانما ازعجه الدهر حين استطاع النورمانديون احتلال بلاده وساموا اهلها الهوان وقد تميز ابن حمديس على شعراء صقلية والقيروان والاندلس الذين عالجوا هذا الموضوع لان احساسه بالوطن قوي الجذور راسخ لا يموت فقد ظل غريبا حيث حل لتجسم الوطن خلال مشاعره ، ولم يقنع بما دعى اليه شاعر صقلي آخر هو (هو ابو العرب الصقلي) الذي برر غربته حين قال :

ان كان اصلي من تراب فكلها　　　بلادي وكل العالمين اقاربي[5]

وربما كان هذا السبب الذي جعل ابن حمديس يفتخر ببلده ولم يفتخر بقبيلته الازدية ففي قصيدة بلغت 48 بيتا يقول :

نحن بنو الثغر الذين ثغورهـــم　　　اذا عبست حرب لهم تتبســـم
ومن حلب الاوداج يغذى فطيما　　　بحجر من الهيجاء ساعة يفطم[6]

(وهنا يقصد ان النوق التي تغذي الفطيم تمتاز بحسن الحال والسمنة)
وذكر صقلية وحده يثير في نفسه الأسي ويهيج لنفسه تذكرها فصقلية موطن الصبا اذ كان في العشرين ولم يتخلف عن مدح اهلها وصقلية جنة واليوم قد بلغ الستين وهو غريب يدفع اوزار الرحيل عنها بهذا الألم والاحساس القاتل بالغربة يقول :

ذكرت صقلية والاســــــــى　　　يهيج للنفس تذكارهـــا
ومنزلة للتصابي خلــــــــت　　　وكان بنو الظرف عمّارها
فإن كنت اخرجت من جنـــــة　　　حسبت دموعي انهارهـــا
ضحكت ابن عشرين من صبوة　　　بكيت ابن ستين اوزارهـا[7]

وفي قصيدة يصف الشيب ويعبر عن تشوقه الى صقلية فهو يفتتحها بقوله :

نفى هم شيبي سرور الشباب　　　لقد اظلم الشيب لما اضاء

---

11. ظهر الاسلام ، ص183.
12. في الادب الاندلسي ، ص100.
1. الادب الاندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص10.
2. ديوان ابن حمديس ، ص185.
3. المصدر نفسه ، ص17 - 18.
4. المصدر نفسه ، ص413.
5 المصدر نفسه ، ص183

ثم يذكر صقلية :

ولا تعجبي فمغاني الهـــــواء　　　يطيب طيب ثراها الهـــواء
ولي بينها مهجة صبـــــــه　　　تزودت في الجسم منها ذماء
ديار تقشت اليها الخطـــــوب　　　كما تتمشى الذئاب الضـــراء
صبحت بها في الغياض الاسود　　　وزرت بها في الكناس الظباء[1]

ثم يتحول الى محاورة البحر والتفاخر عليه :

وراءك يا بحر لي جنة　　　لبست النعيم بها الاشقاء

وبلغ به الشوق حدا حتى انه اصبح مستعداً ان يركب هلالا او زورقا يشبه الهلال ليعانق صقلية وذكاء:

فلو انني كنت أعطى المنى　　　أذا منع البحر منها اللقاء
ركبت الهلال به زورقـــا　　　الى أن أعانق فيها ذكاء[2]

ويتساءل لماذا كتب عليه التعرب اهو طالعة النحس أنه يتنقل من مكان لأخر ولكنه يبقى غريبا فإحساسه بالغربة قاس وثابت:

مالي اطيل عن الديار تغربا　　　افبا لتغرب كان طالع مولدي
أبدا أبدد بالنوى عزمي الى　　　أمل بأطراف البلاد مبـــدد
كم من فلاة جبتها بنجيبـــه　　　عن منسم دام وخطم مزبــد[3]

انه يبكي دوما صقلية التي كاد الزمان بها وينفجر ألما حين يرى الروم يسومون اهل بلده ذله بعد ان كانت حارسة للناس ذات عزة:

صقلية كاد الزمان بلادهـــا　　　وكانت على اهل الزمان محارسا
ارى بلدي قد سامه الروم ذلة　　　وكان بقومي عزه متقاعســـا

ويذكر مسقط رأسه سرقوسة:

واضحت لهم سرقوسة دار منعة　　　يزورون بالديرين فيها النواوسا[4]

وتشفع لاهله كلما احتاجوا الى ذلك فروابطه قوية باهله فحين مدح الحسن بن علي والي سفاقس قال:

وما سفاقس الا بلدة بعثـــت　　　اليك عنها لسان الصدق تعتذر
واهلها اهل طوع لاذنوب لهـم　　　اني لأقسم ما خانوا وما غدروا
وانما دافعوا عن حتف انفسهم　　　اذ خذمتهم به الهندية البتـــر[5]

أي اذا قطعتم السيوف الهندية (السيوف البتر) التي تكون شديدة القطع.

وحين مدح الامير ابا الحسن علي بن يحيى ذكر ردة اهل سفاقس الى اوطانهم ورجوع الآباء منهم الى ابناء :

اخذت سفاقس منك عهد امان　　　وردت أهليها الى الاوطان[6]

كما كان يخاطب اهل صقلية ويدعوهم الى الجهاد المتمثل بالدفاع عن صقلية :

بنو الثغر لستم في الوغى من بني امي　　　إذا لم أصل بالعرب منكم على العجم

---

6. المصدر نفسه ، ص3. الطيب : العطر ، والثرى : الارض. ذماء : بقية الروح ، الخطوب . المصائب ، الغياض : الاجمة او مكان اقامة الاسود ، والكناس : بيت الضبي الذي يستتر فيه النظر. ينظر (المنجد في اللغة مادة ذما ، خطب ، غيض ، كنس)

1. ديوان ابن حمديس ، ص4. ذكاء : اسم علم للشمس (المنجد في اللغة مادة ذكا)
2. المصدر نفسه ، ص168.
3. المصدر نفسه ، ص275 – 276.الناووس : جمع نواويس : مقبرة النصارى : حجر منقور تجعل فيها جثة الميت ، (المنجد في اللغة مادة نوس)
4. المصدر نفسه ، ص250.
5. المصدر نفسه ، ص499.

دعوا النوم اني خائف ان تدوسكـــــم دواه وانتم في الاماني مع الحلـــم
فردوا وجوه الخيل نحو كريهـــــــة مصرّحة في الروم بالثكل واليـــــم[1]

هكذا كان الوطن يعيش معه اينما حل او ارتحل ، فقد تفوق في هذا المجال على شعراء صقلية والقيروان والاندلس ، وابن حمديس ظل قوي الجذور والحنين الى وطنه .

2. المدح : هو ذكر محاسن الممدوح ومناقبه والهجاء هو ذكر مساوئ المهجو للنيل منه. وقد قالوا ان ابن حمديس لا يحسن الهجاء فأجابهم:

يقولون لي لا تجيد الهجاء فقلت ومالي اجيد المديـــح؟
فقالوا لأنك ترجو الثــواب وهذا القياس لعمري صحيح
عفاف اللسان مقال الجميل وفسق اللسان مقال القبيـح
ومالي وما لامرئ مسلـــم يروح بسيف لساني جريح[2]

ويرى الدكتور احسان ان قوله ((ومالي اجيد المديح) كانه يعيد قول العجاج الراجز : ((هل رايت بانيا لا يحسن ان يهدم)) ولكنه ربط قول المديح دون الهجاء بفلسفة اخلاقية[3]. ولا ريب في ذلك فقد نشأ في عائلة فيها وتر قوي من التدين فضلا عن ان اباه اشتهر بالبر و الاحسان والعفة كما مر سابقا.

لقد مدح ابن حمديس الكثير وقصائده في المدح طويلة ولاسيما في المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ولكن صقلية واهلها كانت تجد طريقها في ثنايا مدحه. في المغرب مدح تميما امير المهدية وتفجع على دخول الروم صقلية وبلغت قصيدته (62) بيتا ومطلعها :

تدرعت صبري جنة للنوائب فإن لم تسالم يا زمان محارب[4]

(تدرعت صبري سترا للنوائب ، أي سرا للمصائب)

وهي قصيدة طويلة من صفحة 28 الى 33.

وفي مدائحه لا يختلف كثيرا عن شعراء هذا الغرض اذ ينسب الصفات الجميلة والفريدة الى ممدوحه وخاصة اذا كان ملكا فهو اهل الكرم والشجاعة ، ومصدر الجمال والفطنة ، وهو حامي الاسلام وهو مقدام للاسد.

هو الذي ازال الرمد عن ابصارهم بمحياه وهو مؤيد من الله الذي قرّب له ما بعد ، وهو ليس طارئا على الملك وانما هو قد ورث الملك أبا عن حد ، وممدوحه الاوحد في كل شيء وهو العادل تقتدي الأملاك في العدل به ، وهو يقتدى بهذا العدل بأبيه وجده.

ففي احدى قصائده في مدح المعتمد يقول:

ملك إن بدأ الحمد بـــــــــه ختم الفخر به ما يبتـــــــدى
معرق في الملك موصولا بـــه شرف المجد ومحض السؤدد
من غدا في كل فضل أوحـــــدا ذلك الاوحد في العـــــــدِ
من حمى الاسلام من طاغيــــة كان منه في المقيم المقعـــدِ
وكست اسيافه عاريـــــــــــة ذل اهل السبت اهل الاحـــدِ
ذو يد حمراء من قتلهـــــــم وهي عند الله بيضاء اليـــدِ
تقتدى الاملاك في العدل بـــه وهو فيه بأبيه يقتـــــــدي
كيف لا يملى على الناس العلى مستمد من على المعتضــدِ
عارض ينهل بالوبــــــل اذا كان للعارض كف الجلمـــدِ
وهصور يفرس القــــرن اذا جرد المرهف فوق الاجـــردِ
فنداه البحر والبحر متــــــى تعصف الريح عليه يزبـــدِ[1]

6. المصدر نفسه ، ص416.
1. ديوان ابن حمديس ،ص94.
2. ينظر المصدر نفسه ، ص20.
3. المصدر نفسه ،ص28.

ان المبالغة واضحة في الابيات وقد كان تشبيه الممدوح بالبحر حين تهب عليه الريح فهيج وترتطم امواجه فيظهر الزبد والممدوح عندما يتطلب منه العون يهيج في كرمه حتى يغرق سائله بكرمه، وفي قصيدة اخرى يقول:

جلا محياك عن ابصارنا الرمدا وقرب الله من مرآك ما بعـدا
وجاء يحمل منك الطرف اربعة البدر والطود والدأماء والأسدا[2]

فهو جميل ومنير كالبدر وثابت كالطود (الجبل) وكريم كالدأماء (البحر) وقوة وشجاعة كالأسد.

3. الرثاء: اذا كان المدح هو ذكر محاسن الممدوح وهو على قيد الحياة فالرثاء هو ذكر محاسن الميت ومناقبه والتفجع عليه. ويمكن ان نجد رثاء المدن في شعر ابن حمديس حين بكى صقلية وسرقوسة وسفاقس كما مر سابقا.

لقد رثى من مات من اهله كوالده وابن اخته وجاريته جوهرة التي غرقت فضلا عن رثاء بعض الامراء.

ان طبيعة الغرض دفعته الى التأكيد على ان الموت امر حتمي فما على الانسان الا ان يخلد ذكره بالعمل الصالح ويؤمن بوجود الآخرة كما دفعته طبيعة الغرض الى الشكوى من الزمان ، انه يتفجر ألما وربما وجد في الرثاء رثاء لغربته ومعاناته. وهذا ما تجسد في رثاء ابيه وقد ورد عليه كتاب والده من صقلية يحضه على البر ويتشوقه:

يد الدهر جارحة آسيـــه ودنياك مفنية فانيـــه
وربك وارث اربابهــــا ومحيي عظامهم الباليـه
رأيت الحمام يبيد الانـــام ولدغته مالها راقيـــه
وأرواحنا ثمرات لـــــه يمد اليـها يدا جانيـــه
وكل امرئ قد رأى سمعه ذهابا من الامم الماضيه
وعارية في الفتى روحـه ولا بد من ردة العاريـه
سقى الله قبرابي رحمــة فسقياه رائحة غاديـــه

ومنها:

ورحت الى غربة مرة وراح الى غربة ساجيه
وقد اودعتنـــي آراؤه نجوما طوالعها هاديـــه
سمعت مقالة شيخي النصيح وارضي عن أرضه نائيه[3]

من الصياغات الجميلة انه شبه الموت بالافعى اذا لدغت شخصا لا تنفعه التعويذة (راقيه) كما انه جاء بتعبير جديد حين قال (رأى سمعه) فالرؤية للبصر ولكنه نقلها الى السمع.

وفي رثائه للامراء كان يبالغ الى درجة انه كاد لا يصدق نزول الموت بالامير ويتعجب متسائلا كيف يمكن للقبر ان يحتوي البدر او الجبل؟

قال في رثاء الشريف الفهري علي بن احمد الصقلي :

اذ البدر يطوي في ربوع البلا لحدا ام الطود حطوا في ثرى القبر اذ هدا
حملنا على التكذيب تصديق نعيـــه وسدت له الاسماع وانصرفت صــدّا[4]

---

4. المصدر نفسه ، ص140.معرق الملك : عريق الجذور .اهل السبت : اليهود.اهل الاحد : النصارى.القرن : السيد الشجاع.المرهف: السيف الاجرد الفرس قصير الشعر.الندى : الكرم (المنجد في اللغة مادة اقرن ، جرد)
5. المصدر نفسه ، ص170.
1. ديوان ابن حمديس ، ص522 – 523.
2. المصدر نفسه ، ص163.

4.الوصف : ويعبر هذا الغرض عن اهم الاغراض التي اشتهر بها ابن حمديس فمعظم الدراسات قد عرفته في هذا الغرض واهتمت بتسميته شاعر الوصف كما اهتمت باندلسيته فهي شرع الى القول انه من شعراء الاندلس.وابدع في وصف الطبيعة بل تغلغل وصف الطبيعة في قصائده التي نظمها في اغراض اخرى مثل المدح والغزل.

((لقد كان لنشأة ابن حمديس في جزيرة صقلية ذات الطبيعة الوارفة الظلال اثر في ظهور فن الوصف في شعره وعنايته به)) [1] ثم جاءت الطبيعة الاندلسية الخلابة لترهف حسه بها واكثر شعر الوصف مقطعات وقصائد قصيرة.

والوصف موضوع كبير في ديوانه[2] بل ((ينساب في جملة اغراضه فيصف الطبيعة في الغزل ويصور محاسن الحبيبة على مثال محاسن الطبيعة ويصفها في المدح بل اكثر شعره المدحي مصبوغ بصبغته الطبيعية ويصورها قوية في الحماسة والفخر وحزينة باكية في الرثاء))[3]

على سبيل المثال :

فكأن حدّة طرفه وفـــــــؤاده	**من أذنه نقلت الى عرقوبـــه**
ألقى على الأرض العريضة ارضه	**ثم اشتكى ضيقا لها بوثوبـــه**
وجرى ففات البرق سقا وأنهـــى	**من قبل خطفته الى مطلوبـــه**
فلشبه دهمته بدهمة ليلـــــــه	**امسى يفتشه بفرط طيبـــــه**
ويرش سيفي بالنجيع مصارعـــا	**للاسد يسكنها بذيل عسيبـــه**
ومهند مثل الخليج تصـــــــفقت	**طرق النسيم عليه من تشطيبه**
وكانما في مائه وسعيـــــــــره	**نمل يسير بسبحه ودبيبـــه[4]**

فنحن نرى الارض ، البرق ، الليل ، الاسد ، النمل ، الخليج ، النسيم .... من مظاهر الطبيعة في غرض غير الوصف وانما الغزل.

وفي مطلع مدحه للامير يحيى بن تميم بن المعز يقول :

شهاب في دجى الليل ثقب	**أم سراج ناره ماء العنب[5]**

في بيت واحد نجده يذكر الشهاب والليل وسراج ونار وماء العنب ويفتتح قصيدته في رثاء ابن اخت له:

خطب يهز شواهق الاطواد	**صدع الزمان به حصاه فؤادي[6]**

ويرى الدكتور سيد نوفل ((ان وصف الطبيعة عند ابن حمديس وثيق الصلة بوصف الخمرة ..... وما علينا الا ان نقرأ ديوانه لنراه يشرب عند طلوع الفجر في روضة فواحة الزهر مخضلة ويشرب قبل ان ترتشف ريق الغوادي في ثغور الاقاح ، ويشرب على ايماض برق كأنه مصباح شب في سواد الليل)) [7]

ففي قصيدة يفتتحها بقوله :

طرقت الليل ممدود الجناح	**مرحبا بالشمس من غير صباح**

يقول :

علل النفس بريحـــــــان وراح	**وأطع ساقيها واعص اللـــواح**
وادر حمراء يسري لطفـــــــا	**شكرها من شمها في كل صـــاح**
لا يغرنك منها خجـــــــــل	**انها تبديه في خد وقـــــــاح**
واغلها بالماء تعلم منهمـــــا	**ان بين الماء والنار اصطـــلاح**
واذا الخمر حماها صرفهـــــا	**ترك المزج حماها مستبـــــاح**

---

3. في الادب الاندلسي ، ص100.
4. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص19.
5. في الادب الاندلسي ، ص104.
1. ديوان ابن حمديس ، ص11
2. المصدر نفسه ، ص.45
3. المصدر نفسه ، ص119.الاطواد : جمع طود : وهو الجبل .
4. شعر الطبيعة في الادب العربي، د. سيد نوفل ، ص270 -271.
5. ديوان ابن حمديس ، ص82 – 84.

خلني افن شبابي مرحـــــــــا   لا يرد المهر عن طبع المــــراح
انما ينعم في الدنيا فتـــــــــى   يدفع الجد اليها في المـــــزاح
فاسقني عن اذن سلطان الهـوى   ليس يشفي الروح الاكـــأس راح
فالقضيب اهتز والبدر بــــدا   والكثيب ارتج والعنبر فــــــاح
والثريا رجح الجو بهـــــــا   كابن ماء ضم للوكر جنـــــــاح
ارضع الغيم لبانا بأنـــــــه   فشربت فيه قامات المــــــلاح
كل غصن تعتري اعطافـــــه   رغدة النشوان من كأس اصطباح[1]

((وهكذا فقد اوجز الشاعر في هذه الخمرية جمال الطبيعة المتنوع ونلاحظ ان الشاعر يقبل على الطبيعة بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها .... والى جانب هذا الوصف تتجلى فيه الطبيعة حية مشخصة تبدو عناية الشاعر بتصوير الطبيعة اللامعة على مثال ابن المعتز بالشكل وتجميله))[2]
كقوله :

اشرب على بركة نيلوفر   محمرة النوار خضراء
كأنما ازهارها اخرجــت   السنة النار من المـاء[3]

ويمكن تقسيم غرض الوصف عنده الى :
1. وصف الطبيعة من انهار وغدران وسواق واشجار وازهار كالنيلوفر والشقائق والفواكه كالنارنج والسحاب والبرق والرعد والبحر :

نشر الجو على الارض برد   أي در لنحور لو جمـــــد
لؤلؤ اصدافه السحب التـي   انجز البارق منها ما وعد
ذوبته من سماء ادمـــــع   فوق ارض تتلقاه بخـــد
فجرت منه سيول حولنـــا   كثعابين عجال تطـــــرد[4]

وهي قصيدة طويلة ترى فيها الطبيعة في صور متحركة كما تلمح التشبيه الرائع في البيت الاخير فالثعابين عندما تمشي تتلوى فكيف بها اذا كانت مستعجلة فهذه السيول المائية حوله تتفرع وتجري بسواق ملتوية كالثعبان.

2. وصف الحرب وآلاتها من سيوف ودروع وسفن قال يصف سيفا :

ومهند عجن الحديد لقينــــه   في الطبع نيران ملئن رياحــا
روح اذا اخرجته من جسمه   دخل الجسوم فاخرج الارواحا[5]

فهو يرسم للسيف صورة فنية معبره ، جعله من خلالها كانه نار في بطشه وروح تنتزع الارواح من اجسادها ، وهذا بلا شك تصوير دقيق وجميل يوحي بالقوة والاجلال .

3. وصف الحيوانات والحشرات كالاسد والناقة والزرافة والعقرب والبق والبعوض والذباب.
قال يصف عقربا في قصيدة طويلة اذكر منها :

ومشرعة بالموت للطعن صعده   فلا قرن إن نادته يوما يجيبها
مداخلة في بعضها خلق بعضها   كجوشن عظم ثلمته حروبهـا

---

1. في الادب الاندلسي ، ص103.
2. ديوان ابن حمديس ، ص5.
3. المصدر نفسه ، ص117.
4. المصدر نفسه ، ص94.

تذيق خفي السم من وخز ابــرة   اذا لسبت ماذا يلاقي لسيبهــا[1]

4.وصف مناظر الصيد ومجالس الشرب والخمر فقد قال في الصيد.

لما رأيت الصبح قد تبـــــدى
كانه في الشرق سيل مـــــدّا
اركبت نفسي شوذقا معـــــدا
يهد أركان الطيور هـــــــدا
بمخلب تبصره مســـــــودا
وفتية يكسبون المجـــــــدا
ويلبسون من حديد ســـــردا
صادوا وصادوا ما يجوز العدا
فمن فتى يقدح منه زنـــــدا
وحاطب طلحا له ورنـــــــدا
ومشتو يوسع نارا وقــــــدا[2]

5. وصف الادوات الحضارية كالقلم والشمعة

قال في شمع :

قناة من الشمع مركـــوزة   لها حربة طبعت من لهــــب
تحرق بالنار احشـــــاءها   فتدمع مقلتها بالذهـــــــب
تمشى لنا نورها في الدجى   كما يتمشى الرضى في الغضب
عجبت لأكلة جسمهـــــــا   بروح تشاركها في العطـــب[3]

6.وصف البرد والطبيعة الصناعية :

وفي موضوع الثلجيات (القصائد التي تصف نزول الثلج والبرد) يتفرع موضوع البرد....

وهو قليل في الشعر الاندلسي و اشهر من عرض له هو الشاعرابن حمديس الصقلي في قصيدة بلغت عشرين بيتا خص البرد منها ببضعة ابيات[4]، وقد مرت الابيات في وصف الطبيعة.

((وابن حمديس احد اولئك الشعراء الذين جمعوا بين وصف الطبيعة الطبيعية والطبيعة الصناعية كالقصور والتماثيل والرسوم))[5] وقد وصف قصرا ابتناه المنصور بن أعلى الناس ببجايه وعلى البركة اشجار من الذهب والفضة واسود من المرمر يخرج من افواهها الماء كما يخرج من اطراف تلك الاشجار فيسمع لها خرير وصفير .

قال :

وضراغم سكنت عرين رئاسه   تركت خرير الماء فيها زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها   واذاب في افواهها البلــــورا
أسد كأن سكونها متحـــــرك   في النفس لوجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنمـــــــا   اقعت على ادبارها لتثـــــورا
وتخالها والشمس تجلو لونها   نارا والسنها اللواحس نـــورا[6]

---

5. المصدر نفسه ، ص42.
1. ديوان ابن حمديس ، ص127 – 128.
2. المصدر نفسه ، ص24.
3.ينظر الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ، ص334.
4. في الادب الاندلسي ، ص104.
5. ديوان ابن حمديس ، ص547.

ويبدو ان الاكثار من ذكر الطبيعة عند الشعراء الاندلسيين عامه هو محاوله للترويح عن النفس في بعض الاحيان ، إذ يعتقد الدكتور مصطفى الشكعة ان ((شعر الطبيعة كان مهربا للشعراء وهم في اقصى حالات التفجع والتوجع وقد التفت شعراء الاندلس الى هذا المنطق فسجلوا كثيرا من قصائدهم ومقطوعاتهم التي مزجوا فيها الحسرة والألم بذكر الطبيعة الجميلة وما حوت من جمال وجلال واشراق وتبسم فربما ظنوا ان في اشراقتها مخرجا لمصائبهم وفي بسمتها برءا لمواجعهم))[1]

5. الغزل :

ترك ابن حمديس مقطوعات وقصائد في الغزل ويغلب على غزله وصف محاسن الحبيبة من عيون وخدود وشعر كما نجد اجزاء الطبيعة منتشرة في تشبيهاته وهو يشكو، كما ان الشاعر العذري يتلذذ بتلك الشكوى من العذال والوشاة وظلم الحبيب فيبدي استعداده للتضحية بالروح من اجل ارضاء الحبيب :

أذبت فؤادي يا فديتك بالعتـــب   ولو بت صبا ما عنفت على صـــب
وقاتلتي بين الغواني كأنهـــا   مصورة بالعين في حبة القلــــب
حياة ولكن طرفها ذومنيّـــة   اما يتوقى الموت من طرف العضـب
شكوت اليها لوعة الحب فانثنت   تقول لتربيها وما لوعة الحـــب؟
فقيل : عذاب لو احطت بعلمــه   لجدت على الصادي بماء اللمى العذب
وقال الهوى اذ لم تذوقيه ضره   وهل تحدث الخمر الحمار بلا شــرب[2]

وفي اخرى يقول

فارقتكم وفراقكم صعـــب   لا الجسم يحمله ولا القلــب
قتل البعاد فما اشير بـــه   حتى تمزق بيننا القـــرب
امقيمة والركب مرتحـــل   بالصبر عنك ترحل الركــب
كم ذا يزور البحر بحرأســى   في العين منك جمانه رطـب
ما كان نأتي عن ذراك قلـــى   فيموت بعد حياته الحـــب
اني لأرجو السلم من زمـــن   قامت على ساق له حـــرب
والدهر ان يسعد فربّتمـــا   صلح الجموح وذلل الصعب[3]

وفي بعض الاحيان كان يفتتح بعض القصائد بالغزل الطلي لأنه نشأ عربي الاصل في موطن اعجمي يحارب العروبة وقد صاحب في المغرب عربا جابوا القفار مما أدى الى ازدياد تعلقه بالعرب وبيئتهم وما يتصل بهم من الوان التفكير والاساليب .... وبالغ في الوقوف على الاطلال[4] ، ((وغزله احيانا بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة))[5]

6. الفخر : لم يفتخر ابن حمديس بقبيلته الازدية وانما افتخر ببلده ووصف اهل صقلية بالبحار في الكرم وبالاسود في الشجاعة :

نحن بنو الثغر الذين ثغورهم   اذا عبست حرب لهم تتبسم

ومنها :

لنا عجز الجيش اللهام وصدره   بحيث صدور السمر فينا تحطم
يضاعف ان عد الفوارس عدنا   كان الشجاع الفرد فينا عرمرم[6]

---

6. الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ، ص353.
1. ديوان ابن حمديس ، ص18.
2. المصدر نفسه ، ص8.
3. ينظر في الادب الاندلسي ، ص101.
4. ديوان ابن حمديس ، ص19.
5. المصدر نفسه ، ص413 – 414.

قال في العرب الذين صحبهم في الفلاة بالمغرب :

رعى ورق البيض الذي زهره دم		بهم ورقا عن زهرة الروض يبسم
جبابرة في الروع تعدو جيادهـــم		بهم فوق ما سح الوشيج المقــوم
ترحل من آجامها الاسد خيفـــة		اذا نزلوا للرعي فيها وخيمـــوا[1]

وافتخر باهل بلده سرقوسة فقال :

ارى بلدي قد سامه الروم ذلـــة		وكان بقومي عزة متقاعســــــا
وكانت بلاد الكفر تلبس خوفـــه		فأضحى لذاك الخوف منهن لابسـا
عدمت اسود منهم عربيـــــة		ترى بين ايديها العلوج فرائســـا
فلم ترى عيني مثلهم في كتيبـــة		مضارب ابطال الحروب مداعســـا

ومنها

ومن عجب ان الشياطين صــيرّت		بروج النجوم المحرقات مجالســـا
وأضحت لهم سرقوسة دار منعة		يزورون بالديرين فيها النواوســا
مشوا في بلاد اهلها نحت ارضها		وما مارسوا منهم ابيا ممارســـا
ولو شققت تلك القبور لانهضت		اليهم من الاحداث اسدا عوابســـا[2]

وافتخر بعائلته كما ذكرت في الرثاء فهم قد توارثوا الاخلاق الفاضلة والعلم أبا عن جد وافتخر بعفة لسانه كما مر ذلك في غرض المدح حين قالوا انه لا يحسن الهجاء.

7. الزهديات : زهد وزهد وزهد – زهدا في الشئ وعنه رغب عنه وتركه ومنه ((زهد في الدنيا)) [3] أي تخلى عنها للعبادة بمعنى انه يتخلى عن ملذاتها ويقنع بالقليل ولا يتهالك على الدنيا ، وانما يتزود بالعمل الصالح للاخرة ويكثر من العبادة ... لقد مر بنا كيف نصحه والده ان يمضي على خطى آبائه وعلى خطى عائلته التي بها وتر قوي من التدين لذا لا نستغرب ان نجد هذا الغرض في قصائد ومقطوعات لابن حمديس فهو يدعو الى الاتعاظ بالموت الذي لا مفر منه وان هذه الدنيا فانية تعقبها دنيا خالدة فعلى الانسان الا تغره الدنيا ويسوق البراهين على صحة هذه الافكار فيسأل أين الشباب؟ وهل يمكن للانسان ان يسترده؟ لذا يرجو الله ان يدرأ عنه العقاب. قال ابن حمديس في معنى الزهد:

وعظت بلمتك الشائبـــــة		وفقد شبيبتك الذاهبــــه
وسبعين عاما ترى شمسـها		بعينك طالعة غاربـــــه
فويحك هل عبرت ساعـــة		ونفسك عن زلة ناصبــه
وغرتك دنياك اذ فوضـــت		اليك امانيها الكاذبـــــه
اصاحبة خلتها؟ انهـــــا		باحداثها بئست الصاحبـه
اما سلبت منك برء الشباب؟		فهل يستبرد من السالـبه
وان دقائق ساعاتهـــــا		لعمرك آكلة شاربـــــــه
وان المنية من نحوهــــا		عليك بأظفارها واثبـــــه[4]

وهو يعترف بأن ذنوبه اثقلت ظهره فكلما تاب ساعة عاد في ساعة اخرى لارتكاب الذنوب ويعقد رابطة جميلة بين ما يأكل وبين العمر الذي يأكله ويتضرع الى الله طالبا الرحمة مما جناه لسانه :

يا ذنوبي ثقلت والله ظهري		بأن عذري فكيف يقبل عـــذري
كلما تبت ساعة عدت اخرى		لضروب من سوء فعلي وهجري

6. المصدر نفسه ، ص 412.
1. المصدر نفسه ، ص275 – 276.
2. المنجد في اللغة – مادة زهد
3. ديوان ابن حمديس ، ص40 - 41.

ومنها

وانا حيث سرت اكل رزقـــي غير ان الزمان ياكل عمري
واجرني مما جناه لسانـــــي وتناجت به وساوس فكري[1]

8. الحكميات :

((هو شعر مصوغ في شكل نصائح خلقية ووصايا))[2]

مثل قوله في كتمان السر :

ان السرائر عورات وان لهـــــا مهذبا آخذا بالحزم يسترهـــــا
فاطوا السرائر في الجنين تحجنها عن اللسان الذي للسمع ينشرها[3]

وقال في القصد والتدبير :

لا تخرج الشئ عن شئ يوافقـــه واقصد بأمرك في التدبير مقصده
فالد من فيه لنبت الارض مصلحة ولو خلطت به الكافور افســـــده[4]

وقال في الصحة والمرض:

اذا ما الهواء اعتل كان اعتلالنا محيطا بما يجريه فينا التنفس
وربّتما كان الغذاء مضـــــــرة يذم به العقبى جهول وكيّـس

وامراضنا اسبابهن كثيرة تحل باجسام فتهلك انفس[5]

ويلاحظ على شعره في الزهد والحكميات بسيط العبارة واضحا فهو يقترب من اسلوب ابي العتاهية او ما يسمى بالسهل الممتنع[6]

المبحث الثالث
مميزات شعره

لقد مر الشعر في الاندلس بأطوار ثلاثة :-

الطور الاول : طور المحاكاة للشعر في المشرق ((اذ كانت الفكرة الاساسية عند من يريد ان يكتب شعرا ان يكون على نمط الشعر من القدماء او العباسيين ... فالشاعر لم يحاول ان يخضع الشعر العربي لشخصيته بل رأيناه هو يخضع له ، فهو يخضع لموضوعاته المعروفة في المشرق كما يخضع لأفكاره ومعانيه واخيلته واساليبه))[7].

الطور الثاني : هو الحقبة التي امتدت خلال القرن الخامس وفيها اخذ الشعراء يصدرون عن حاضرهم ويمثلون بيئتهم ومظاهرها مع الاخذ بحظ من التقليد ويمثل شعراء ملوك الطوائف الذين يرجعون طرافة البيئة الى معاني الشعراء السابقين وفي نهاية هذا القرن تم انتصار الجديد واتسعت حركة الموشحات.

أما الطور الثالث : فيضم شعراء القرن السادس وما بعده وفيه اخذ الشعراء يمثلون البيئة وتجتمع لهم الحداثة والجدة ويمثل هذا الطور من الشعراء ، ابن حمديس ، ابن عبدون ، ابن خفاجة ، ابن سهل ، ولسان الدين الخطيب ، وابن زمرك وغيرهم[8].

---

4. المصدر نفسه ، ص265 – 266.
5. ديوان ابن حمديس ، ص19.
6. المصدر نفسه ، ص263.
7. المصدر نفسه ، ص167.
1. ديوان لبن حمديس ، ص273.
2. ينظر تاريخ الادب العربي – حنا الفاخوري ، ص841.
3. الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ص417.
4. ينظر في الادب الاندلسي ، ص.101

اذن يقترن اسم ابن حمديس بالحداثة والجدة حتى قال عنه ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ما نقله عنه ابن خلكان ((هو شاعر ما هو يقرطس اغراض المعاني البديعة ويعبر عنها بالالفاظ النفيسة الرفيعة ويتصرف في التشبيه المصيب ويغوص في بحر الكلم على درر المعنى الغريب))[1] والمعنى ابن حمديس كان يكتب في صحيفة شعره.

((وهو من الشعراء النابهين في دور الطوائف))[2] بل ((لم تنجب مثله صقلية في الشعر ولم يقصر عن اجود ما وصلته الاندلس باستثناء فن التوشيح وربما لم ينشأ منن شعراء المغرب من يضاهيه قوة وتنوعا فهو يمثل ثمرة الشاعرية المغربية في ازهى عصور السيادة السياسية في المغرب))[3].

ومن يقرأ ديوان ابن حمديس يستطيع ان يستخرج مجموعة من المميزات التي امتاز بها شعره وهي :

1. خلو شعره من الهجاء، اذ كان نبيل الفكرة عفيف اللسان فضلا عن ان شعره كان مراه صافيه تجلت فيها اخلاقه. [4] وقد مر بنا انه لم يمارس غرض الهجاء وقد افتخر بذلك :

**يقولون لي لا تجيد الهجاء		فقلت ومالي اجيد المديـــح**
**فقالوا لانك ترجو الثـــواب		وهذا القياس لعمري صحيح**
**عفاف اللسان مقال الجميل		وفسق اللسان مقال القبيـــح**

**ومالي وما لامرئ مسلم		يروح بسيف لساني جريـــح[5]**

2. رهافة الحس ورقته ،إذ ان بيئة صقلية الوارفة الظلال والكثيرة الانهار و بيئة الاندلس الخلابة جعلت حسه مرهفا ورقيقا فلذا ((ترق قصائده حتى تشبه الطبيعة الصقلية والاندلسية الجميلة في رقتها وعذوبتها)) [6] ان عنايته بهذه الطبيعة وافتتانه بها وقدرته البارعة على تصويرها دفعت الكثير من الباحثين الى دراسته شاعرا من شعراء الطبيعة اكثر من اهتمامهم باغراضه الاخرى التي يشكل بعضها خصوصية ابن حمديس وتفوقه على الشعراء الاخرين مثل معايشته لفكرة الوطن والحنين القوي اليه والحلم بالعودة.

وكان وصف الطبيعة عنده يصدر عن طبع لا تكلف فيه ولا صناعة فهو ((يقبل عليها بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها فيبدوا عالم الطبيعة في حركة وزينة وطرب))[7]

واعرض هنا بعض النماذج واحاول تحليلها مبينا قدرات هذا الشاعر الكبير قال في إحداها :

**طرقت والليل ممدود الجناح		مرحبا بالشمس من غير صباح**
**سلم الايماء عنها خجـــلا		او ما كان لها النطق مبـــــاح**
**غادة تحمل في أجفانهـــــا		سقما فيه منيات الصحــــــاح**
**الثم الدر حصى ينبع لــــي		بزلال ناقعا فيه التيـــــــــاح**
**واروي علل الشوق بمـــا		لم يكن في قدرة الماء القــراح**
**همت بالعيد فلو كنت الصبا		لم يكن مني عنهن بــــــــراح**

ومنها

**ارضع الغيم لبانه بانــــــه		فتربت فيه قامات المــــــــــلاح**
**كل غصن تعتري اعطافــه		رعدة النشوان من كأس اصطباح**
**وكان الروض رشت زهره		بمياه الورد افواه الريـــــــــاح[8]**

---

5. وفيات الاعيان ، 212/3. قرطس الرجل : اصاب القرطاس (والقرطاس بكسر القاف وضمها) ، (المنجد : مادة قرطس).
6. في الادب الاندلسي ، ص100.
7. ديوان ابن حمديس ، ص17.
8. ينظر تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الزيات ، ص336.
1. ديوان ابن حمديس ، ص94.
2. ديوان ابن حمديس ، ص17.
3. في الادب الاندلسي ، ص103.
4. ديوان ابن حمديس ، ص82 – 85 (التياح) : شدة الظمأ

ان القارئ يشعر برقة الموسيقى في هذه الابيات ويرى صورا متحركة ويدرك قدرة الشاعر على استعمال الاستعارات الجميلة فالفعل طرقت : يدل على حركة فهو بمعنى جاءت زائرة في الليل وهذه الزائرة (الخمرة) منيرة كالشمس وقد مد الليل جناحيه. فقد شبه الليل بالطائر ولكنه حذف المشبه به وابقى كلمة الجناح تدل عليه فالاستعارة مكنية وكذلك فعل بتشبيه الزائرة بالشمس. والإيماء يعني الاشارة والاشارة تحتاج الى حركة وهذه الزائرة خجولة لا تستطيع الكلام فتستعين بالاشارة وكل هذا يوجده الشاعر في خياله الواسع .

والفعل (الثم) يوحي لك بصورة انسان يقبل شيئا.

والغيد هن الحسان فلو كان هو الصبا زمن الشباب والحداثة لما فارق الغيد أي لجعل الغيد دائمة الشباب هكذا يولد المعاني ، والمرأة هي التي ترضع اولادها وقد شبه الغيم بالمرأة بعد ان ترك ما يدل على ذلك عن طريق الفعل (ارضع) والغيم ارضع الاشجار فلذا نشأت قامات الملاح.

والقارئ يجد الحركة في كل جزء من أجزاء الشجر وكأنها قد شربت الخمرة صباحا فبدأ كل جزء نشوانا.

والرياح رشت عن طريق فمها الروض وزهرة بمياه الورد ان الرسام يستطيع ان يرسم لوحة رائعة من هذه الصورة. وقوله :

ذوبته من سماء أدمـــع فوق ارض تتلقاه بخد

فجرت منه سيول حولنا كثعابين عجال تطـــرد[1]

الثعابين عندما تسير تتلوى فكيف يكون تلويها اذا كانت مستعجلة بالتأكيد سيكون تلويها سريعا وقويا ، وقد شبه جريان السيول في مختلف الاتجاهات كتلوي الثعابين المستعجلة انها صورة متحركة وتشبيه دقيق يكشف عمق خياله.

وقوله

يكاد وليد الذر يجرح جسمها اذا صافحت منها أنامله الإتبا[2]

انها مبالغة واضحة فلو لمس وليد الذر (النمل المولود توا) جسمها لجرح ذلك الجسم لرقته

3. ويلاحظ القارئ لديوانه مسحة الحزن والتشاؤم على قسم من شعره ولا سيما في جنينه الى وطنه وهو يتذكر ما حل به ويبقى غريبا يشكوا الغربة فالقلب والعقل والعيون مشدودة الى هناك :

اعاذل دعني اطلق العبرة التـــــي عدمت لها من اجمل الصبر حابسا

فانمي امرؤ آوي الى الشجن الذي وجدت له في حبه القلب ناخســـا

لقدرت ارضي ان تعود لقومهـــا فساءت ظنوني ثم اصبحت يائسا

وعزيت فيها النفس لما رأيتهـــا تكابد داء قاتل السم ناحســــــا[3]

4. ان اعتزازه بأصله العربي جعله يقلد الاقدمين في افتتاح بعض قصائده بوصف الاطلال ووصف الناقة وذكر الصحراء وما يتعلق بها وهو ((يحتذي معاني القدماء والمحدثين فهو يتحدث عن الاطلال حديثا مؤثرا ثم يتبع مذهب ابي نواس في السخرية منها والهتاف بالخمر في ظل الطبيعة الوارفة وينطبق هذا على اوصافه للخيل والابل والغيث والبرق والبيداء والصيد))[4]، فهو يقول:

ولقد سريت بفتية قطعوا الفلا بعزائم مثل الصوارم سلّت[5]

وقال في وصف فرس ادهم كان يفضل ركوبه :

---

5. المصدر نفسه ، ص117.

1. ديوان ابن حمديس ، ص50.
2. المصدر نفسه ، ص274. الاتبا : الاتب : قميص بلا كمين تلبسه المراة.
3. في الادب الاندلسي ، ص101
4. ديوان ابن حمديس ، ص70.

ومنغمس في صبغة الليل يمتطي الى اجل الآساد قيد الأوابـــــــد
يكر فكم جسم على الارض ساقط صريع وكم روح الى الجو صاعد[1]
وفي إحدى مدائحه لابي الحسن علي بن يحيى يفتتح مديحه بالغزل فيقول :
صادتك مهاة لم تصـــــد فلو حظها بشرك الاسد
من توحي السحر بناظرة لا تنفث منه في العقــد[2]

5. حين تعرضنا لبيئة الشاعر عرفنا ان وترا من التدين قد تحكم في حياته فلذا نراه يحث اهل قومه على محاربة الغزاة من (اهل السبت) ومن (اهل الاحد) اليهود والنصارى كما سماهم وان مثل هذا العمل جهاد في سبيل الله أي ان الروح الجهادية تظهر بارزة في قسم من شعره.
ففي قصيدة يمدح فيها الحسن بن علي بن يحيى يذكر انهزام عدو صقلية عام الديماس فيقول :
ابى الله الا ان يكون لك النصـر وان يهدم الايمان ما شاده الكفر
وان يرجع الاعلاج بعد علاجها خزايا على اثارها الذل والقهـــر
ليهنك فتح اولغ السيف فيهـــم ولاح بوجه الدين من ذكره بشر
بسعد كساك الله منه مهابـــــة واشراق نور منه تقتبس الزهر[3]
وفي اخرى يقول :
وكيف وقد سيمت هوانا وصيرت مساجدها ايدي النصارى كنائسا
اذا شاءت الرهبان بالضرب انطقت مع الصبح والامساء فيها النواقسا

انه يتحسر اذ يرى المساجد تتحول الى كنائس ويحل الرهبان محل ائمة وعلماء المسلمين :
ارى بلدي قد سامه الروم ذلة وكان بقومي عزة متقاعسا

وكانت بلاد الكفر تلبس خوفه فأضحى لذاك الخوف منهنّ لابسا[4]
وقد مر بنا كيف خاطب اهله ليدافعوا عن الاسلام :
بنو الثغر لستم في الوغى من بني امي اذا لم اصل بالعرب منكم على العجم
دعوا النوم اني خائف ان تدوسكـــــم دواة وانتم في الاماني مع الحلـــم
فردوا وجوه الخيل نحو كريهــــــة مصرحة في الروم بالثكل واليتـــم
وصولوا ببيض في العجاج كأنهـــــا بروق يضرب الهام محمره الجسـم
وقرع الحسام الرأس من كل كافـــــر احب الى سمعي من النقر في البــم[5]

((والصدق العاطفي كان يتفاوت من غرض لآخر فأعلاها درجة تتجلى في تلك القصائد التي كان يتفجع على وطنه ثم في تلك القصائد الطوال التي يكون الشاعر خاضعا لانفعال مبهم فهو يخرج فيها عواطف الحب والميل الى الخمر والشكوى من الزمان دون حافز خارجي))[6]
ومما يمثل تلك القصائد الطوال التي ينفعل فيها الشاعر دون حافز خارجي تلك التي تبدأ بـ :
كل يوم مودع او مودع بفراق من الزمان منوع[7]

او قصيدته التي يفتتحها بـ :

5. المصدر نفسه ، ص137.
6. المصدر نفسه ، ص158.
7. المصدر نفسه ، ص252.
1. ديوان ابن حمديس ، ص274 – 275.
2. المصدر نفسه ، ص416.
3. المصدر نفسه ، ص18.
4. المصدر نفسه ، ص304.

مرابعهم للوحش اضحت مرابعا فقف صابرا تسعد على الحزن جازعا
فمن مبلغ الغادين عنا بأننـــــا وقفنا وأجرينا بهن المدامعــــــــــــا
معالم اضحت من دماها عواطلا فقل في نفوس قد هجرن المطامعــــا[1]

((ويقع غزله احيانا بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة))[2]

اما فيما قاله في الزهد والحكمة فهو يقترب من ابي العتاهية بلغته الواضحة واسلوبه المشرق[3].

وقد كان معاصروه ومن جاء من بعدهم يعجبون ببعض المعاني المبتكرة والصور في وصفه او بناحية الدقة الجزئية في شعره الوصفي عامة.

اما في نظر الناقد الحديث فيمكن تصنيف شعره حسب الجودة الفنية في الترتيب التالي :

1. قصائده الصقليات 2. القصائد الطوال التي تمثل التلقائية في الانشاء للتعبير عن حالات النفس دون حافز خارجي. 3. شعر الوصف 4. الشعر الحكمي والتعليمي[4]

اما اسلوبه الشعري فيتردد بين البساطة البالغة التي تشبه العفوية في مثل قوله :

بالله يا سمرات الحي هل هجعت في ظل اغصانك الغزلان عن سهري
وهل يراجع وكرا فيك مغترب عزت جناحيه أشراك من القدر[5]

وبين الكلفة الشديدة في تعقب الجناس والمطابقة تتكرر لديه المعاني وبخاصة في المدح .. ويبدو في بعض المساجلات الادبية انه كان سريع البديهة يقترح عليه موضوع فينظم فيه[6]

الخاتمة

يرتبط اسم ابن حمديس بالحداثة والجدة في القرن السادس للهجرة في الأندلس فقد استطاع ان يخضع لشخصيته بعد ان بقي الشاعر الاندلسي زمنا طويلا يحاكي ما قاله الشعراء في المشرق.

وابن حمديس يقبل على الطبيعة التي فتن بها فتونا بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها وتبدو الطبيعة حية مشخصة.

وشعره مرآة صافية لحياته في مختلف اطوارها فمن خلال ديوانه نستطيع ان نكتب سيرته واثره في البيئة وتأثره بها. ويمكن ان الخص اهم النتائج التي توصلت اليها على النحو الآتي :

1. تغلب اندلسية ابن حمديس ووصف الطبيعة على شخصيته في معظم المصادر التي تتناوله بالدراسة اكثر من الاغراض الاخرى التي تنظم فيها.
2. ان الحنين القوي الى وطنه وتفجعه عليه لما حل به من نكبات صادق ومؤثر فهو لم يشعر يوما بأنه صار من اهل البلد الجديد الذي حل به وانما كان يهتف بأنه غريب.
3. لقد تفوق على الاخرين في وصف الطبيعة هذا الغرض الذي تغلغل في اغراضه الاخرى وقد قدم اوصافا تتجلى فيها روح الابتكار والابداع. ولعله اشهر من عرض لوصف ((البرد))
4. ان قدرته على التصوير فائقة فهو يرسم صورا متحركة حين يصف يستطيع الرسام ان يستلهم لوحات من شعره.
5. تبلغ الجودة الفنية عنده الذروة في قصائده الصقليات.
6. تظهر شخصيته متحكمة في الشعر الذي أصبح خاضعا له لأنه عبر عن البيئة التي عاشها حية.
7. استعمل افتتاح بعض القصائد بالغزل الطللي ليعبر عن حبه للعرب وتعلقه بهم.

هذا والله اعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

5. المصدر نفسه ، ص312.
6. المصدر نفسه ، ص19.
7. ينظر تاريخ الادب العربي ، ص336.
8. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص17 – 19.
9. المصدر نفسه ، ص 206. سمرات : اشجار.
10. ينظر المصدر نفسه ، ص21.

المصادر والمراجع

1. الادب الاندلسي – موضوعاته وفنونه – الدكتور مصطفى الشكعة – ط4 دار العلم للملايين ، بيروت 1979م.
2. الادب العربي وتاريخه ، محمود مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1356هـ/1937م.
3. امراء الشعر العربي في العصر العباسي – انيس المقدسي ، ط2 المطبعة الاميركانية 1936م.
4. تاريخ الادب الأندلسي عصر سيادة قرطبة . د. احسان عباس . دار الثقافة الطبعة الثانية بيروت 1977م.
5. تاريخ الادب العربي . احمد حسن الزيات . طبعة نهضة مصر . القاهرة . 1957.
6. تاريخ الادب العربي . حنا الفاخوري . المطبعة البوليسية . القاهرة . د.ت.
7. تاريخ الادب العربي . عمر فروخ . ط1 دار العلم للملايين . بيروت . 1992م
8. دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وآخرون مصر ، 1933م.
9. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ، 1978م.
10. شعر الطبيعة في الادب العربي د.سيد نوفل ، القاهرة ،1945م.
11. ظهر الاسلام د.احمد امين ، ط5 دار الكتاب العربي ، بيروت 1969م.
12. فجر الأندلس ،د. حسن مؤنس ، ط1 الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ، 1959م.
13. الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف ، ط6 دار المعارف ، 1965م.
14. في الادب الاندلسي د. جودة الركابي ، دار المعارف ، مصر ، 1980م.
15. محمد بن عمار الاندلسي ، د.صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد 1957م.
16. المنجد في اللغة ، ط1 ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ايران ، 2001م.

17. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، احمد بن محمد المقري التلمساني ، دار صادر ، بيروت 1388هـ / 1968م.
18. وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، دار الثقافة ن طبعة بيروت ، 1970.